

الصورة التعليمية في الكتاب المدرسي "كتاب اللغة العربية 3 ابتدائي" أنموذجا دراسة في المضامين والأشكال

The educational Image in the school book, "3rd Primary Arabic Language Book " as a model

د. ليلى نصيب

جامعة العربي التبسي تبسة leila.necib@univ-tebessa.dz

تاريخ الإستلام: 2022 / 01 / 15 تاريخ القبول: 2022 / 03 / 12 تاريخ النشر: 2022 / 04 / 05

ملخص:

تتأسس الصورة على علاقة المشابهة بين الدال والمدلول وتشير إلى المرجع بطريقة توحى بالتطابق بينهما، وهذا ما يمنحها خصائص تجعلها تكتفي بذاتها وتحمل معناها بين جنباتها، فاستطاعت بذلك أن تقتحم مجال التعليم كوسيلة بيداغوجية تعليمية لا غنى عنها في معظم النشاطات التعليمية، فالصورة ترافق النص المكتوب وتكشف الدلالة التي يخفيها وتساهم مساهمة فعالة في تنشيط الانتباه وزيادة الخبرات وتطوير التعلم والاستيعاب لدى المتعلم، على أن تقدم بطرق صحيحة مع مراعاة معايير وشروط اختيارها.

وتهدف هذه الدراسة إلى كشف أهمية الصورة كوسيلة تعليمية في الكتاب المدرسي وتبيان شروطها في العملية التعليمية والتعلمية، إضافة إلى توصيف إيجابياتها وسلبياتها في كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي.

الكلمات المفتاحية: الصورة التعليمية، الكتاب المدرسي، معايير الصورة، المنهج الوصفي التحليلي.

Abstract:

Image is based on the similarity relation between the signifier and the signified and refers to the reference to suggest a congruence between them, which gives it characteristics that make it self-sufficient and carry its meaning within itself. Thus, it was able to break into education as an indispensable pedagogical learning method in most educational activities. The image accompanies the written text and reveals the significance that it hides and makes an effective contribution to stimulating attention, increasing experiences, developing learning and comprehension of the learner, if it is presented considering the criteria and conditions of its selection.

This study reveals the importance of the image as an educational tool in the textbook, clarify its conditions in the teaching and learning process, and describe its pros and cons in the Arabic language textbook for the third year of primary education.

Keywords: Descriptive analytical method, educational Image, image criteria, school book.

١. مقدمة

إن الصورة هي الوسيط الاتصالي الأكثر قدرة على تقديم المعلومة، ذلك أنها تخاطب حاسة البصر بالدرجة الأولى، ولأن الإنسان يفكر عن طريق الصورة وتصوراته الذهنية ما هي إلا تصورات بصرية، فإنها تعد بذلك الوسيلة التعليمية التي لا يمكن الاستغناء عنها ترافق النص المكتوب وتفسره وتقرب ما فيه من أفكار وتجعلها أكثر واقعية، وتستخدم الصورة في التربية والتعليم كوسيلة من الوسائل الأساسية التي تتحقق من خلالها الأهداف التربوية.

واكتست الصورة أهميتها من خلال قدرتها على تجسيد المعاني وجعل المجرد منها محسوسا، ما يساعد في عملية الإدراك التي لا تتحقق عن طريق اللغة فقط، ونظرا بارتباطها بحاسة البصر فإنها أكثر رسوخا في ذاكرة المتعلم وهذا ما يثبت المعلومات لديه، والصورة كغيرها من الوسائل التعليمية يجب أن يتقن المتعلم فهمها وتحليلها لأنها تصنع المعنى وليست مجرد وسيلة مساعدة، كما أنها وسيلة ناجعة لتحقيق التعلّم وإيضاح النصوص المكتوبة وكل عملية تعليمية ناجحة لا تخلو من توظيف الصورة.

وبغرض الإحاطة بالموضوع والإلمام بجوانبه ارتأينا أن تكون إشكالية بحثنا كالآتي:

١٤ فيم تتمثل أهمية الصورة كوسيلة تعليمية في الخطاب التربوي التعليمي؟

١٤ كيف يمكن استثمارها في اكتساب اللغة وتنمية القدرات الفكرية والذهنية للمتعلمين؟

١٤ وما مدى تجاوب الصورة مع أهداف وغايات البرامج التعليمية للمنظومة التربوية تقنيا وداليا؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة انتهجنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يساعد على وصف واقع توظيف الصورة في الكتاب المدرسي ويكشف عن إيجابياتها وسلبياتها من خلال التحليل والتفسير.

أولا: مفهوم الصورة:

جاء في لسان العرب في مادة صَوَّرَ "تصوّرت الشيء توهّمت صورته فتصوّر لي. والتصاویر التماثیل (...)" قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا وكذا (ابن منظور، د ت، ص ص 23-25)، من التعريف اللغوي نستنتج أن الصورة تمثيل ذهني يقوم على المحاكاة أساسا وبذلك تدل الصورة على الشكل والمعنى معا.

ومصطلح الصورة «مصطلح مشتق من كلمة لاتينية تعني محاكاة، ومعظم الإستخدامات القديمة والحديثة لهذا المصطلح تدور حول المعنى نفسه، ومن ثم توجد معانٍ متقاربة وربما مترادفة مع هذا المعنى في مجال الاستخدام السيكلوجي، مثل: التشابه، النسخ، إعادة الإنتاج، الصورة الأخرى... إلخ» (عبد الحميد، 2005، ص 17).

لقد غدت الصورة من أهم أنظمة التواصل لما تلعبه من دور مهم في مرافقة اللغة، إنها كرسالة بصرية تحمل أبعادا دلالية وجمالية وثقافية فتتعدد محمولاتها ما يزيد من جاذبيتها وقدرتها على تحفيز الحواس والمخيلة «فبواسطة الصورة بات بالإمكان استعمال الحواس الخمس، فهي تسجيل للحظة مرئية في مكان ما، تتصف بالتشويق والجاذبية، إنها تلي اللغة وتساعد في الإقناع، كما تتصف بالتميز وبالفضاء الثقافي والعملي وينطبق ذلك على الصور الثابتة والمتحركة» (بوديار، 2020، ص 45).

إننا نعيش عصر الصورة التي كسرت الحواجز والحدود بين البشر وجعلت التواصل متاحا ويسيرا لكل الفئات، واقتحمت الصورة كل المجالات المعرفية والحياتية للإنسان فلا مفر من سطوتها واستبدادها في

توجيه الفكر وحتى الرأي العام، لقد غدت نسقا تعبيريا وثقافيا، طاغيا ومتفردا على بقية الأنساق التعبيرية الأخرى.

ويتلقى الإنسان المعلومات عن طريق حواسه كلها، لكن حاسة البصر هي نافذته المفتوحة على العالم ومحتوياته بها يكتشفه ومن خلالها يختبره «لقد ذكر عالم التربية الأمريكي المعروف جيروم بونير المشهور بدراساته عن التفكير وعن التربية من خلال الاستكشاف والإبداع ذكر دراسات عديدة تبين أن الناس يتذكرون 10% فقط مما يسمعون و 30% فقط مما يقرؤونه، في حين يصل ما يتذكرونه من بين ما يرونه أو يقومون به إلى 80%». (عبد الحميد، 2005، ص 14).

وعلى الرغم من كون تلقي الصورة عن طريق حاسة البصر متساويا بين جميع الناس، إلا أن تأويلاتها تتنوع وتعدد بتعدد المتلقين واختلاف سياقات التلقي لديهم، ما يجعل منها نسقا تأويليا يمتاز بالتعدد ويحمل خصائصه التأويلية في ذاته، وتبقى الصورة محتفظة بأسرارها التي لا يمكن أن تفهم إلا باكتشاف مقصدية المتحكم فيها، فالصورة تنفتح على التأويل وتعدد الدلالات.

ويرى ريجيس دوبري أن الصورة لا نهائية الدلالة وتمتاز بالخصوبة لأنها متعددة المعنى وموحية «إن صورة ما تظل ملغزة إلى الأبد وبشكل نهائي ولا تقدم أي "درس جيد" ممكن، إنها تملك خمس مليارات من التلاوين والترجمات بمقدار الكائنات الإنسانية، ولا إحداها تقدم نفسه على أنها الأصل الوحيد (...) إنها تعددية المعنى الذي لا ينضب معينه، ليس بإمكاننا أن نقول نصا كلما نرغب في قوله، أما الصورة فنعم (...) إن هذه البراءة الدلالية (باعتبارها الوجه الآخر لخصوبة رائعة هي الإيحاء) تنطبق أكثر على الصورة الأمانة (الصورة الفوتوغرافية أو الفيلم) منه على الصورة الأيقونة» (دوبري، 2013، ص 15).

الصورة علامة بصرية وإضافة إلى كونها جماهيرية وسعت من دائرة التواصل، فلم تعد المعلومة حkra على من يمتلكون مهارة القراءة والكتابة فإنها كذلك «تمتلك القدرة على الاستمرار في الوجود، فليس صدفة إذن إذا كانت الحضارة تطورت باستعمالها أولا العلامات السمعية وبعد ذلك العلامات البصرية» (إيكو، 2010، ص 81)، هذه القدرة على الاستمرارية تنبع من كونها علامة بصرية تعتمد أساسا على حاسة البصر والتي من خلالها يتلقى الإنسان أغلبية معلوماته، وكما أن اللغة رمزية مثلما هي اللغة العرفانية الصوفية، فإن الصورة كذلك رمزية تسجل الظاهر وترسم ملامح الباطن، يتحكم المعطى الثقافي في فك رموزها، ويرى ريجيس دوبري أنها «رمزية غير أنها لا تملك الخصائص الدلالية للغة، إنها طفولة العلامة، ولا يخفى أن هذه الأصالة تمنحها قدرة على الإيصال لا مثيل لها. فالصورة ذات فضل لأنها أداة ربط» (دوبري، 2013، ص 35)، ولأنها طفولة العلامة فهي تملك القدرة على الشرح والتفسير والتوضيح وتفتح أبواب متعددة للتأويل ولا غنى عنها في العملية التعليمية خاصة في المراحل الأولى من التعليم قبل اكتساب كفاءة القراءة وحتى بعد اكتسابها، لذلك فإنها تلعب دورا هاما في إيصال الفكرة بكل وضوح وشفافية لمتلقيها كما أنها مؤثرة تنطبع في الذاكرة تستوطن فيها ولا ترحها، وما أكثر صور الطفولة الراسخة في أذهان الناس خاصة ما تعلق بصور الكتب المدرسية في مرحلة التعليم الابتدائي.

وتتعدد الصور وتنوع لكن أهم نوعين غالبيتهم في الكتاب المدرسي هما الصور الفوتوغرافية والرسوم التعليمية اليدوية؛ أما الصورة الفوتوغرافية فتعرف على أنها «تمثيل آلي مرئي للحوادث والأشياء في حياتنا اليومية، أما الرسوم التعليمية فهي تمثيل يدوي عادة لمفاهيم وخبرات وحقائق المادة الدراسية المقررة على التلاميذ» (حمدان، 1987، ص 73).

وعلى اختلاف أنواعها تمارس الصورة تأثيرها وسلطانها على متلقيها هذا التأثير سيتحول إلى فعل وسلوك يختلف باختلاف مواقف التعلم ودوافعه فلا حدود لتأثيرها على المتعلم ف «سواء كانت الصور موحشة أو مخففة على النفس، أو كانت مدهشة أو فاتنة، أو كانت يدوية أو آلية، ثابتة أو متحركة، بالأبيض والأسود أو بالألوان، صامتة أو ناطقة، فإنها تمارس الفعل وتحت على رد الفعل» (دوبري، 2013، ص 10-11)، وإذا تعلق الأمر بالصورة التعليمية فإنها بدورها تدفع المتعلم للتساؤل وتمنحه الإجابة، وقبل ذلك تزيد من رغبته في التعلم لامتلاكها عنصر الجاذبية والتشويق والإمتاع.

ثانياً: أهمية الصورة:

تعتبر الصورة من أهم الوسائل التعليمية بعد الكلمة، لأنها تستثير انتباه المتعلم وتمنحه معارف متعددة بطريقة مشوقة وتدفعه للقراءة وحب المطالعة، وتحفز فيه الخيال والتأمل والإبداع والتركيب والتأويل، كما تساهم في جعل العملية التعليمية أكثر كفاءة وفاعلية ومتعة، ولا تقل فاعليتها أبداً عن فاعلية اللغة المنطوقة، إن الوسيلة التعليمية «إذا استخدمت مع الصورة استخداماً سليماً فإنها تعمل على أن تكون الخبرة تربوية في مواقف التعلم والتعليم بما يجذب المتعلم إلى الدرس، وتدفعه إلى الانتباه ومحاولة التفاعل مع عناصر البيئة المتصلة بموضوع الخبرة والاشتباك معها في صراع الأخذ والرد والسؤال والاستجابة والاندفاع والإحجام والتصرف بطريقة إيجابية فيها حركة عقلية واتساق في الإدراك ما يهدف إليه الموقف» (زهران وآخرون، 2007، ص 161)، فمن مميزات الصورة أنها تثير الانتباه لدى المتعلم، فإذا أثارت انتباهه حصل التفاعل والتأثير والفهم والتحليل والاستيعاب ما يحقق الكفاءة المستهدفة من توظيفها.

ونظراً لكونها تعتمد على حاسة البصر في تلقيها فإنها حسية وواقعية، وبذلك تسرع وصول المعلومة أكثر من اللغة المنطوقة التي يغلب عليها الطابع التجريدي المعنوي «إن الصورة أكثر واقعية من الألفاظ المجردة التي تصف ذلك الشيء، ويعود تفوق الصور في التعبير والاتصال إلى أن حاسة البصر أنشط الحواس في العمليات الذهنية، إن معظم التصورات الذهنية هي تصورات بصرية». (الحيلة، 2004، ص 197)، فتترسخ المعلومة في الذاكرة ويسهل على المتعلم تذكرها، كذلك تستطيع الصورة تخطي الحدود المكانية والزمانية وبذلك ترسم معالم العصور الماضية والشخصيات التاريخية، فيها يستطيع المتعلم السفر عبر الزمن واستكشاف الماضي وبتاريخه وحضاراته وعلومه وبيئته الاجتماعية والثقافية، ترسم الصورة العالم المحيط بالمتعلم بل وتجعله متماهياً معها بمشاعره فالصورة ونظراً لخاصية التطابق مع الواقع تصل إلى أعلى درجات الإقناع للمتعلم ونجاحها تتجاوز اللغة في ذلك.

وتتميز الصورة بخاصية «التأثير الفوري: وهي خاصية الصورة الموضوع/ الهدف، فهي تشعر المشاهد/المستقبل بأنه يمر بالخبرة نفسها التي تعرض أمامه وهذا يساعده على تسريع وتثبيت المعرفة» (العلوي، 2015)، ويتم هذا من خلال التفاعل مع تفاصيل الصورة ومعايشة أحداثها، كما تقدم الصورة للمتعلم «فرصة المقارنة والتأمل وتمده بسبل التفكير الاستنتاجي فضلاً عن كونها أساساً معرفياً لغير القادرين على الاستنتاج انطلاقاً من القراءة المباشرة فقط» (العلوي، 2015)، كما تمهد الصورة لإيصال المعلومة، وهي سبيل من سبل اكتساب ملكة اللغة.

وتتسع أهمية الصورة من كونها حافزاً للمتعلم ومثيراً في الوقت نفسه كما تتميز بخاصية دفع المتعلم نحو التفكير والاستنتاج والتفسير، لذلك فهي من الوسائل التعليمية التي تجعل المتعلم يعتمد على ذاته في اكتساب تعلماته، وهذا صميم المقاربة بالكفاءات التي يعتبر المتعلم فيها فاعلاً أساسياً في العملية التعليمية التعليمية باعتماد الطريقة البنائية والتي «تعتمد على النموذج البنائي للتعلم الذي يجعل من المتعلم الفاعل

الرئيسي في مسار التعلم ليسمح له ببناء المعرفة تدريجياً، وتطوير قدراته الفكرية والتقنية وكذا مخزونه اللغوي، ولهذه الطريقة مبادئ أساسية هي: 1- الملاحظة، 2- التساؤل، 3- الحوار، 4- البحث والتحليل، 5- التجريب، 6- التقويم.» (العلوي، 2017، ص 167)، وهذا ما يلمح في نشاط فهم المنطوق حيث الصورة تعتبر عنصراً أساسياً في دفع المتعلم للملاحظة والتساؤل والحوار والتعبير والاستنتاج والتفسير، وبالتالي تساعد على التفكير المنظم والمتسلسل.

ثالثاً: الصورة كوسيلة تعليمية:

إن الصورة علامة ثقافية (الغذامي، 2005، ص 10)، قبل أن تكون وسيلة تعليمية، فهي العلامة التواصلية التي تجمع مختلف الأجناس البشرية على اختلاف لغاتهم، لقد كانت العلامة الأولى للتواصل بين البشر، واللغة المنطوقة ما هي إلا صور في بداياتها.

وتتكون كثير من خبرات الإنسان عموماً والطفل خصوصاً عن طريق الصور فهي مهاده الأول للتعلم من خلالها يكتشف العالم ويختبره، ويتعرف على معالمه، فالصور مصدر أساسي من مصادر المعرفة ونظام ووسيلة للتواصل مثلما هي اللغة ذلك أنها تمتاز بمطابقتها للحقيقة وبأن المعرفة المكتسبة عن طريقها أكثر رسوخاً في الذهن وهو ما يطلق عليه التعليم البصري ويعتمد على «على فكرة أن استخدام المواد البصرية يجعل الأفكار المجردة التي يتم تدريسها محسوسة بدرجة أكبر (...) ويتضمن الاستخدام المدرسي للأفلام ومواد أخرى مثل الصور الثابتة والخرائط الحائطية، حيث يعد أسلوب تعليم قوي لتنمية الأفكار والمفاهيم والتحكم في البيانات والمعلومات والمعارف الأخرى وهو أحد أنواع التعلم الأساسي (التعلم الحركي، التعلم السمعي) التعلم البصري» (بوديار، 2020، ص 28).

والصورة إذا استخدمت كوسيلة تعليمية يجب أن يتوفر فيها شرط الأصالة وأن تكون ابنة بيئتها معبرة عن ثقافتها وعاداتها وتقاليدها لتعزز الانتماء الوطني والتاريخي لدى المتعلم وبذلك تكون علامة ثقافية دالة رغم أن الصورة في حقيقتها هي اللغة المشتركة بين الناس على اختلاف ألسنتهم إلا أنها تحتفظ بالخصوصية الثقافية وبكونها تحمل فكر مرسلها أو موجبهها، ولا يمكن أن تنزاح عن أهدافه.

من أهم خصائص الصورة استقلاليته، وتأويل النص المكتوب يحتاج إلى معرفة سابقة بسياقه بينما الصورة تكتفي بذاتها وتفسر نفسها دون الحاجة لمعرفة سياقها الثقافي «إذ بإمكان المرء أن يشاهد أي صورة دون حاجة إلى لغة ولا يحتاج إلى سياقات ثقافية ولا فكرية كي يفهم الصورة وهذا أطلق إمكانيات التأويل الحر مثلما وسع دوائر الاستقبال وساوى بين الناس في ذلك» (الغذامي، 2005، ص 11).

وتتجلى أهمية الصورة التعليمية في كونها تقدم المعرفة حسياً دون حاجة إلى اللغة ذلك أنها تساعد المتعلمين على إدراك المعاني المجردة من خلال ربطها بالمحسوسات، وكما تصور التراث المادي فإنها كذلك تعرف بالتراث الفكري والحضاري للإنسان وتقدم أحداث التاريخ الماضية فكأن التاريخ ساكن لا يتحرك، فالصور «تحويل لهم المجردات إلى محسوسات ويدركون بذلك دلالات الألفاظ ومعاني الجمل، كما أن الثقافة العربية الإسلامية يمكن نقلها إلى الطلاب عن طريق الصور الفوتوغرافية، كما يمكن مقارنة الأرقام والتعبير عن البيانات عن طريق الرسوم، ولا يختفي ما تقوم به الصور من مهمات في كتب تعليم اللغة العربية، إذ يستعان بها في تدريس المفردات، كما أن الكاركتاير يمكن استخدامه من قبل المعلم عندما يعرض شيئاً ذا مغزى يتصل بأحداث معينة، كما يمكن تمثيل القواعد النحوية في رسوم بيانية توضحها» (زهران، 2007، ص 165).

لكن توظيف الصورة في العملية التربوية التعليمية يجب أن يكون مدروسا وممنهجا نظرا لأهميتها ودورها الكبير في توصيل المعلومة للمتعلم، ووجب على المنظومة التربوية أن تولي عناية خاصة لهذا الموضوع لاسيما وأن هناك الكثير من السلبيات التي يجب تداركها في الكتاب المدرسي حتى تتحقق الأهداف التربوية والتعليمية، ف «اختيار الصورة التربوية وتوظيفها في الممارسة التعليمية بحد ذاته يحتاج إلى استراتيجيات فعالة وناجعة وهادفة لتحقيق الكفاءات المنشودة والمسطرة من العملية التعليمية» (العايب، 2021، ص 271).

رابعاً: شروط الصورة التعليمية:

حتى تؤدي الصورة التعليمية وظيفتها التواصلية والتعليمية وتحقق الغاية من توظيفها في الكتب المدرسية، لا بد أن تتوفر فيها معايير وضوابط وجب الحرص عليها من طرف القائمين على انتاج المناهج التربوية أهمها:

1- جمالية الصورة من حيث اختيار الألوان الجذابة وانسجامها وتعبيرها بكل واقعية عن تفاصيل الشيء المشار إليه أو المرجع الواقعي، مع مراعاة أن تكون تفاصيلها واضحة.

2- ملاءمة الصورة للفكرة التي تحيل إليها والمضمون الذي تعبر عنه، وكذا المستوى التعليمي للمتعلمين ولمراحلهم العمرية ومهاراتهم المكتسبة والتي هي في طور الاكتساب.

3- حجم الصورة وضرورة وضعها في المكان المناسب لها في من صفحة الكتاب وحسب نوعية النشاط المستهدف.

4- حداثة الصورة ومواكبتها للتطورات العلمية والتكنولوجية.

5- أن تعبر الصورة عن ثقافة المتعلم وعاداته وتقاليده وبيئته الطبيعية والاجتماعية وكل ما يتعلق بالمجتمع الجزائري حتى ترسخ لديه الاعتزاز بثقافة وطنه وتاريخه، فينشأ فخورا بانتمائه ولا يسعى إلى التنصل من انتمائه وتقليد الآخر والانهيار به.

وفي غياب شبه تام للصور المتحركة كوسيلة تعليمية تبقى الصور الثابتة سواء أكانت فوتوغرافية أو يدوية هي المهيمنة، ما يؤدي بالمتعلم إلى التعلق بالصور التلفزيونية وحتى اللجوء إلى قنوات اليوتيوب للبحث عن الفائدة والمتعة في ذات الوقت.

وبالعودة إلى الكتاب المدرسي الموجه إلى الأطوار الأولى من التعليم الابتدائي حيث تحتل الصورة مكانة أساسية فيه، يجوز لنا التساؤل عن مدى تحقق هذه المعايير ومدى نجاعتها وفعاليتها في تحقيق الأهداف البيداغوجية والتعليمية سواء من ناحية تصميم الصور فيما تعلق بجوانبها الفنية والتقنية أو من ناحية محتواها وطرق استثمارها في اكتساب الكفاءات المستهدفة.

خامساً: الصورة في الكتاب المدرسي:

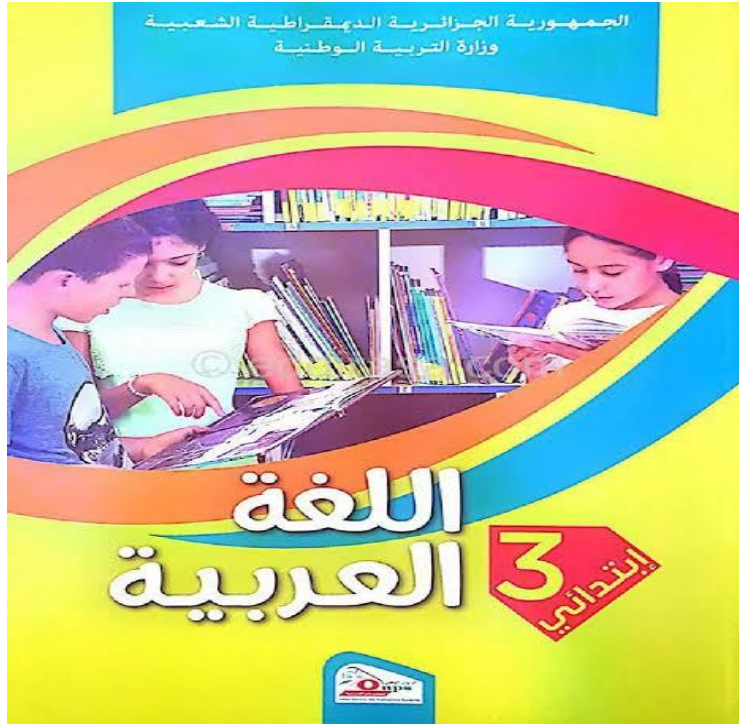
يعتبر الكتاب المدرسي وسيلة من الوسائل التعليمية الأساسية بالنسبة للمعلم والمتعلم حيث أنه يسمح للمتعلم باكتساب مهارات القراءة والكتابة والتعبير الشفهي والكتابي والحوار والمحادثة، ويتضمن الكتاب المدرسي في محتواه الكثير من الصور اليدوية والفوتوغرافية والرسومات البيانية التوضيحية التي ترافق النصوص المكتوبة بهدف تقديم وتقريب وتوضيح المعلومة للمتعلم ومساعدته على اكتساب مهارات التعلم المختلفة، واستخدام الصورة يعزز عمليات الإدراك والتفكير والتحليل والاستنتاج لدى المتعلمين ،

فالصور التي هي تمثيل بصري تحيل إلى المحاكاة وعلاقة المشابهة تختصر الكلمات وتكثف الدلالات وتدعم النص المكتوب ولا يقل دورها وأهميتها عن دور وأهمية اللغة المنطوقة والتي تتحدد معانيها على أنها صور ذهنية. وينبغي مراعاة عدد الصور المرافقة للنص حسب طبيعة موضوعه ومكانها في الصفحة يمينا أو يسارا حسب النشاط المستهدف، إضافة إلى حجمها وطريقة تصميمها من حيث الألوان والخطوط والأبعاد والأجزاء.

تعتبر السنة الثالثة بداية الطور الثاني من التعليم الابتدائي، والتلاميذ في هذه المرحلة العمرية يحتاجون أكثر صورا واقعية معبرة، ولا أقدر على ذلك من الصور الفوتوغرافية كعلامة تؤسسها علاقة المطابقة والإحالة المباشرة على الواقع، ما يتناسب مع المرحلة العمرية لتلاميذ السنة الثالثة ابتدائي الذين تتراوح أعمارهم بين الثماني والتسع سنوات وتدعى مرحلة الطفولة المتوسطة حيث يدرك الطفل المعاني المجردة من خلال ربطها بالمحسوسات.

1. صورة الغلاف:

الشكل 1: صفحة الغلاف



المصدر: كتاب اللغة العربية 3 ابتدائي، بن الصيد بورني سراب وآخرون، 2021/2022

تضم صفحة الغلاف في كتاب اللغة العربية 3 ابتدائي صورا فوتوغرافية لتلاميذ في مكتبة يحملون في أيديهم كتباً يطالعونها وقوفاً، وهذه وضعية لا تتيح فرص التعلم الجيد من الكتاب إضافة إلى أن التلاميذ يتكونون من تلميذتين من عنصر الإناث وتلميذ واحد ذكر، ولو كانت الصورة بحجم أكبر لأمكن زيادة عدد التلاميذ بالتساوي بين الذكور والإناث، إضافة إلى الخلفية المتكونة من مكتبة تحوي كتباً غير واضحة المعالم ولا العناوين، وكان بالإمكان زيادة حجم الصورة التي تفتقد حقيقة إلى الجاذبية وإثارة الاهتمام خاصة أن الأمر يتعلق بمهارة المطالعة التي يجب أن يسعى المربون إلى ترسيخها كعادة للتلميذ في هذه المرحلة بالذات، إضافة إلى أن هذه الكتب تبدو بلا عناوين، ولو كانت كذلك لأثارت انتباه التلاميذ ووجهتهم إلى مطالعة كتب بعينها تناسب مرحلتهم العمرية ومداركهم العقلية وحفزتهم على ذلك إلا أن حجم الصورة بقي عائقاً دون تحقيق هذه الأهداف مع أن صفحة الغلاف تتسع لذلك.

2. صور المتن:

وبالنظر إلى متن كتاب اللغة العربية 3 ابتدائي فإنه لا يخلو من صور تخدم الأهداف التربوية والتعليمية وتتوفر فيها المعايير المطلوبة من حيث ملاءمة الصورة للنص المكتوب والمغزى المقصود منه، إضافة إلى شكلها من حيث الأجزاء والألوان والحجم والموقع الذي وضعت فيه، إلا أننا ارتأينا أن يكون التركيز على سلبات الصورة في هذا الكتاب بغية الإشارة إليها والدعوة إلى تجاوز السلبات وتطوير إخراج الصور ومراعاة شروط الانتقاء ومعايير الجودة من أجل تحقيق الكفاءات التعليمية المستهدفة.

فإذا ولجنا إلى متن الكتاب نجد كثيرا من الصور تشترك في كونها باهتة اللون وقاتمة، تفاصيلها وأجزاؤها غير واضحة، إضافة إلى حجمها الصغير وأحيانا التعارض بين محتواها وموضوع النص المكتوب، هذه الصور عادة تتعلق بنشاط الإنتاج الشفهي ونشاط أوسع معلوماتي وكذلك نصوص القراءة وفهم المنطوق في الصفحات التالية من الكتاب 24، 47، 61، 65، 86، 94، 102، 103 كنماذج مختارة.

ففي المقطع الأول الذي يحمل عنوان "القيم الإنسانية"، وفي الصفحة 24 ومع صغر حجم الصور التي تعبر عن فوائد المطالعة فإنها أيضا لا تعبر مطلقا عن النص المكتوب ولا تدعمه ولا يتناسب محتواها مع النص المرافق لها، استعملت فيها ألوان قاتمة تناقض وظيفة جاذبية الصورة وتأثيرها في نفسية التلميذ، هذه الصور وبسبب قاتمة ألوانها وتركيزها على اللون الرمادي تفتقد إلى الجاذبية وبالتالي لن تحدث التأثير المطلوب والهدف المنشود في تحفيز التلميذ على نشاط المطالعة وكشف أهميته في تنمية القدرات الفكرية واكتشاف آفاق جديدة، هذه الصورة لم تكن ناجحة في ربط الموضوع بالمتعلم، وتفتقد إلى النجاعة والفاعلية في تحقيق المراد منها.

الشكل 2: صور توضح فوائد المطالعة



المصدر: كتاب اللغة العربية 3 ابتدائي، بن الصيد بورني سراب وآخرون، 2022/2021 ص 24

أما في المقطع الثالث المعنون بـ "الهوية الوطنية" الصفحة 47 في نشاط فهم المنطوق وتوظيف الصيغ بالاستعانة بالصور، فإن الصور المدرجة صور يدوية باهتة، أجزاؤها وتفاصيلها غير واضحة وألوانها لا تثير انتباه المتعلم خاصة الصورة التي على اليمين والتي تعبر عن زيارة لحديقة الحيوان، كذلك تفتقد إلى كل ما ذكرناه سابقا ولا تساعد التلميذ خاصة في التدريب على الصيغ وتكوين جمل باستعمالها إذا لم يكن سريع البديهة.

الشكل 3: صورة توضح زيارة لحديقة الحيوان



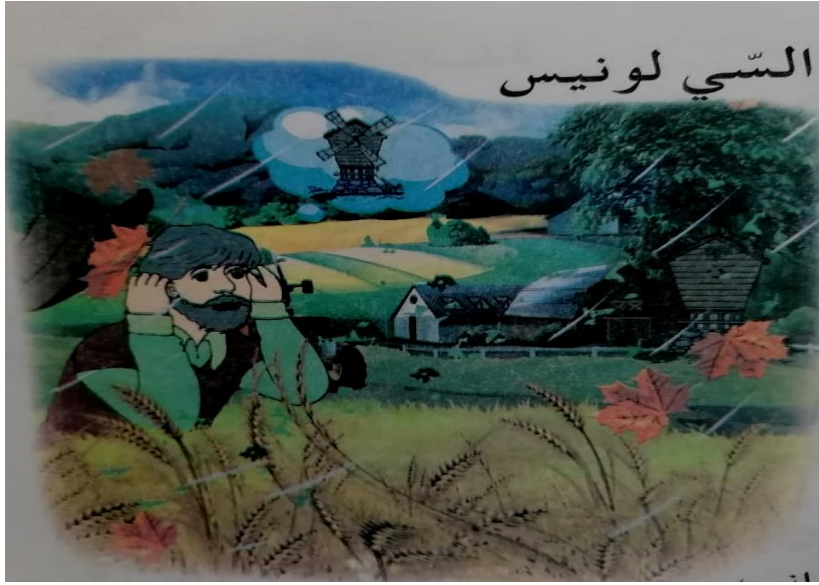
المصدر: كتاب اللغة العربية 3 ابتدائي، بن الصيد بورني سراب وآخرون، 2022/2021 ص 47.

وفي المقطع الرابع " الطبيعة والبيئة" وفي نص طاحونة السي لونيس ص 61، يمكن ملاحظة مدى قتامة الصورة اليدوية التي استعملت فيها درجات اللون الأخضر القاتمة، بالاشتراك مع اللون الرمادي لون الجبل والمنزل الذي جاء وصفه بدقة في النص المكتوب لكن الصورة لا تتطابق مع هذا الوصف، كما يظهر السي لونيس وهو يفكر في تشغيل محرك الطاحونة عن طريق استغلال قوة الرياح إضافة إلى قوة المياه، تظهر الفكرة في غيمة وسط أعلى الصورة مع أن السي لونيس جسد هذه الفكرة في مشروعه إلا أن الصورة لم تجسد الأحداث في تراتبيتها خاصة ما تعلق بالحدث الأخير المتعلق بتجسيد المشروع، وهو ما يشير إليه النص صراحة، فلم يتحقق معيار تعبير الصورة عن مضمون النص.

فإذا كان من أهداف الصورة دفع المتعلم إلى تنمية الخيال والتفكير الاستنتاجي، ولو أن النص لم يقدم الحل في دعم الطاحونة بالمروحة الضخمة التي تحركها الرياح وترك للمتعلم استنتاج ذلك من خلال الصورة لكانت الصورة معبرة أكثر عن الموقف التعليمي، إلا أن الصورة لم تحتزم أحداث النص الذي بدا طويلا جدا بالمقارنة مع التفاصيل الواردة فيها.

وإذا تأملنا الصورة جيدا (الشكل 4) نجد أن الخطوط المعبرة عن الرياح قد تتداخل في ذهن المتعلم لأنها تشكلت بالطريقة نفسها التي تتشكل بها قطرات المطر المتساقطة بقوة ومن يدقق النظر جيدا على يسار الصورة يجد قبعة السي لونيس متطايرة ما يدل على الرياح القوية لكن قتامة لون القبعة التي لونت بالبنّي القاتم قد يحول دون ذلك لعدد كبير من المتعلمين ولو استعمل في تلوينها اللون الأصفر مثلما هو لونها في الواقع فقبعة الفلاحين الحقيقية مصنوعة من جريد النخيل الذي يتميز بلونه الأصفر الفاتح.

الشكل 4: صورة طاحونة السي لونيس



المصدر: كتاب اللغة العربية 3 ابتدائي، بن الصيد بورني سراب وآخرون، 2022/2021 ص 61

أما في المقطع الخامس "الصحة والرياضة" وفي الصفحة 86 نص القراءة المعنون 'الغذاء المفيد' في مضمونه يركز على أهمية الغذاء الصحي المتوازن وعلى الرياضة أما الصورة فقد جاءت في أسفل الصفحة والصورة لكي تثير انتباه المتعلم يجب أن تكون في أعلى الصفحة يمين النص أو يساره، وبما أن هذه جاءت أسفل الصفحة فقد فقدت أول خاصية من خصائص إثارة الانتباه، يظهر في الصورة عائلة مجتمعة حول طاولة العشاء، أين وضعت أطباق متنوعة من الخضر والخبز والعصير، لكنها كذلك لا تبين نوعية الغذاء لأن الأطباق كلها جاءت باللون الأخضر القاتم فلا تتبين محتوياتها للمتعلم.

الشكل 5: الغذاء الصحي



المصدر: كتاب اللغة العربية 3 ابتدائي، بن الصيد بورني سراب وآخرون، 2022/2021 ص 86

وفي مقطع "الحياة الثقافية" وفي نشاط فهم المنطوق ونشاط القراءة معا نص بعنوان 'عادات من الأوراس'، تنصدر الصورة أعلى الصفحة دائما في هذين النصين، لكنها لا تبين أكثر مما تخفي، يظهر فيها اجتماع لنسوة تستقبلن الجدة في حوشها مرحبة بهن، وغاية الاجتماع هو قتل كسكس العولة، لكن

التفاصيل الغائبة في الشكل الأول لا تبين غاية اجتماع النسوة، وحتى الشكل الثاني يفتقد إلى التفاصيل التي يحتاج المتعلم معرفتها من الصورة لا من النص المكتوب، لأنه قد لا يكون رآها مطلقا في الحياة اليومية، فهذه العادات هي في طريق الاندثار في الحواضر الكبرى وأهل المدن خاصة من الشباب والأطفال لا يعرفونها، والمتعلم في هذا الموقف التعليمي يحتاج أن يكتشف هذه العادات عن طريق الرؤية لأنها من التراث المادي.

الشكل 6: عادات من الأوراس



المصدر: كتاب اللغة العربية 3 ابتدائي، بن الصيد بورني سراب وآخرون، 2022/2021 ص ص 102-103

ا. خاتمة:

تنوعت الصورة في الكتاب المدرسي "اللغة العربية 3 ابتدائي" من حيث النوع، بين يدوية وفوتوغرافية، ومن حيث الحجم بين صغيرة وكبيرة وصغيرة، وغلب فيها معيار الكثرة على حساب معيار الجودة، كما افتقرت في جزء كبير منها إلى الجاذبية ومن ثمة إلى إثارة انتباه المتعلم، كما أن المتعلم يواجه صعوبة التعرف على تفاصيلها، وكثيرا ما جاءت باهتة قاتمة اللون غير واضحة المعالم رغم أنها وسيلة إيضاح بالدرجة الأولى ما يحدث خلا في أداء الصورة لوظيفتها في تنمية وتطوير الخيال والتفكير الإبداعي لدى المتعلم، وحثه على التحليل والاستنتاج لأنه لم تراعى فيها شروط الاختيار ومعايير الانتقاء.

هذه القراءة في صور كتاب "اللغة العربية 3 ابتدائي" لا تدعي أنه لا توجد صور روعيت فيها المعايير المطلوبة، ولكنها محاولة ودعوة لتجاوز القصور الحاصل حتى تتحقق الأهداف المنشودة من توظيف الصور التعليمية في الكتب المدرسية. ويبقى موضوع الصورة التعليمية في الكتاب المدرسي خصبا وبحاجة إلى دراسات تتعمق في كل جوانبه، تستظهر إيجابيات الصورة وسلبياتها، أما الدراسات التي تناولت الصورة في الكتاب المدرسي فهي بحاجة إلى تفعيل لأن الهدف الأسى يتعلق بجودة وكفاءة التعليم وتطويره من أجل مستقبل الوطن.

الإحالات والمراجع:

- جمال الدين أبو الفضل محمد ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، دط، دت، ص ص 23-25.
- شاكر عبد الحميد، عصر الصورة الإيجابية والسلبية، ع 311، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005، ص 17، ص 14.
- عادل بوديارو وآخرون، مقاربات نقدية في فعالية خطاب الصورة وأشكال التواصل، منشورات ألفا للوثائق، ط 1، قسنطينة - الجزائر، عمان-الأردن، 2020، ص 45، ص 28.
- ريجيس دويري، حياة الصور وموتها، تر: فريد الزاهي، منشورات أفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2013، ص 15، ص 35، ص ص 10، 11.

- أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان، ط2، 2010، ص 81.
- محمد زياد حمدان، وسائل وتكنولوجيا التعليم، دار التربية الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 1987، ص 73.
- حامد عبد السلام زهران وآخرون، المفاهيم اللغوية عند الأطفال، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2007، ص 161، ص 165.
- محمد محمود الحيلة، تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط4، 2004، ص 197.
- شفيقة العلوي، 2015، تكنولوجيا الصورة واستخدامها في التعليم، http://tarbiawat3lim.blogspot.com/2015/06/blog-post_94.html (consulté le 06/01/2022)
- شفيقة العلوي، الصورة في الكتاب المدرسي بين البناء والوظيفة والصناعة كتاب السنة الثانية ابتدائي أنموذجا دراسة وصفية وتحليلية، مجلة التواصل في اللغات والآداب، المجلد 13، العدد 52، 2017، ص 167.
- عبد الله الغدامي، الثقافة التلفزيونية سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان، ط2، 2005، ص 10، ص 11.
- وهيبه العايب، استخدام الصورة في فهم المنطوق والمكتوب، دراسة في كتب اللغة العربية الموجهة لتلاميذ السنة الثانية من التعليم الابتدائي، ألف اللغة والإعلام والمجتمع (Aleph. langues, medias et societies)، المجلد 8، العدد 1، 2020، ص 271.